المرض ووسائل العلاج في بلاد الرافدين القديمة

نظر الأقدمون إلى المرض في كافة أشـــكاله إلى انه نتيجة لتدخل قوى فائقة المقدرة جعلت من وجوده أمرا ممكنا،سـواء كانت هذه القوى آلهة،أو قوى شـيطانية لها القدرة على إيذاء الإنسـان وإنزال أفدح الضـــرر به، وحتى نتيجة لتدخل قوى إنســانية تتمكن إلحاق الضـــرر بالفرد عن طريق التحكم بقوى السحر.

يُعرف الطبيب في اللغة السومرية بـ آ–زو(**A–zu**) أو يازو(**ia–zu**)، وفي اللغة الاكدية آسـو(**Asu**)، وقد ارتبط بعدد من الآلهة منهم نينازو(**Ninazu**) ويعني اسمه سـيد الأطباء، وابن نينگيشـزيدا(**Ningišzida**)، ورمزه العصـا الملتفة حولها أفعى، وهو الرمز الذي اصـبح لاحقاً احد رموز الطب في العالم الحديث. وابرز الأطباء الذين ورد ذكرهم في النصوص المسماري هو اور–لوگـال–ادين–نا(**Ur–Lugal–Edin–Na**) الـذي عـاش في عهـد الأمير گوديا(**2144–2124** قبل الميلاد) وقد ترك لنا ختماً يرد فيه اسمه موجود حالياً في متحف اللوفر. وهناك ختم آخر باســـم الطبيب مردوك–ماكور(**Marduk–Makkur**) الـذي خلف والـده في مهنته والمدعو ســين–اشــاريدو(**Sin–ašaridu**). ومن الأطباء الذين وصــلت أسماءهم رابا–شــا–مردوك(**Raba–Ša–Marduk**).

كان ابرز آلهة الطب في بلاد الرافدين هي گولا(**Gula**) وتُعد إلهة الشـفاء، ويبدو إن الربة گولا كانت في الأصـل ربة الموت ثم تحولت بعد ذلك إلى إلهة للطب والشـفاء. وكانت صـحة البشـر تعتمد بشـكل خاص عليها.لذا كان الناس يقصـدونها ويلتمسـون منها أن تشـفيهم من أمراضـهم .وصفتها النصوص المسمارية بأنها: الأم السماوية التي تعيد الحياة للموتى؛ والتي تحيي الموتى بلمسة يدها، وكذلك حافظة الحياة لمن يخافها؛ والطبيبة العظيمة لذوي الرؤوس السود(السومريين)، وسميت كذلك بالمنقذة الكبيرة، و الســـيدة التي تشـــفي الأمراض وربة العقاقير والســـموم، والعظيمة في الممارسات الطبية، والمتميزة بقدراتها ومهاراتها في فن العلاج والشفاء.

اما ابرز إلهي للسحر الأبيض المساعد على الشفاء هما: الإله اينكي(**Enki**)/إيا(**Ea**)، هو اله الحكمة والحياة، الذي أوجد أعشاب الشفاء، وبيده سلطة السحر العليا والمعارف السرية، ومن ألقابه رب التعاويذ، ونسـب إليه قيامه بحماية الإنسـان وتخليصـه من العفاريت وقد كان كهنة الاشـيبو(**Ašipu**) بشـكل خاص يسـتعينون به في تعاويذهم لطرد الشـياطين وعدوه اله السـحر الأبيض. ويرتبط الإله اينكي بالماء، والأخير يقوم بواجب التطهير، لذا فان اينكي يمثل القدرة على التطهير من كل ما يدنس بما في ذلك الأرواح الشريرة التي تدنس الإنسان وتسبب المرض والدنس. وفي الشعائر يوفر التعويذة الفعالة ويصف الإجراءات التطهيرية والشفائية، وليس من المبالغة القول

انه قد شـــغل موقع المركز في أعمال الســـحر الأبيض لمحاربة شـــياطين المرض. اما الاله مردوك(**Marduk**)، فهو ابن الإله ايا وان هذا الأخير هو الذي علمه أسرار السحر وفنونه، وإن علاقة الإله مردوك بالسحر قد تعززت من خلال تشابه صفاته مع اله التعاويذ السومري اسالوخي. وأشارت النصوص إلى مردوك على انه اله الحكمة، واله طرد الأرواح الشريرة، وشافي الأمراض

في بلاد الرافدين نعرف عن وجود نوعين من العلاج الأول يعتمد على الســـحر ويدعى اشـــيبوتو والممارس لهذا النوع من الطب يدعى اشـــيبو الذي يتمثل دوره في طرد الأرواح الشـــريرة وذلك باعتماد أسلوب التعزيم كطريقة للعلاج، والثاني يعتمد الوسائل العلمية وهو اسوتو والممارس لهذا النوع من الطب يدعى آسـو والمصـطلح يعود بأصـوله إلى الكلمة السـومرية ا–زو(**A–Zu**) ومعناه العارف بالماء.